

صلاتُنَا هَوَيْتُنَا



﴿فَخَلَافَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَصَاءُوا الصَّلَاةَ وَأَتَبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَرَوُنَ غَيْرَهُ﴾ (مريم / 59).

الخلف بفتح اللام وسكونها: ما يعقبه الرجل من الذريّة، إلا أنّ العرب غالباً حين ت يريد أن تمدح الذريّة تقول: (خلف) بفتح اللام، وحين ت يريد ذمّها تسكن اللام (خلوف)، وفيها إشارة إلى عواقب الأمم حين تغيب القيادة الوعائية، وتضييع وتنقلب المقررات الدينية المتمثلة في الكتاب السماوي وسندّ النبيّ المرسل (ص)، مما يدفع المجرمين ذوي المصالح إلى قتل كلّ من يخالفهم لإثبات ما يريدون من الدين، فيكون ذلك تمهيداً لنزول العذاب السماوي، ولذلك كانت الوصية المهمّة من النبيّ الأعظم (ص) في حديث عُرْفَة (حديث الثقلين): "إِنَّمَا يُخْلِفُ فِيكُمْ مَا أَنْتُمْ تَمْسَكُتُمْ بِهِ فَلَنْ تَنْظِلُوا بَعْدَهُ أَبَدًا" ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، يؤكّد كما يشير بعض النصوص في هذا الحديث في بعض الصحاح: "أوصيكم الله في أهل بيتي، أوصيكم الله في أهل بيتي، أوصيكم الله في أهل بيتي".

في الآية الشريفة إشارة إلى هذا المعنى العظيم، دائرة في تأخر الإنسانية، إنّه وجود الإنسان غير

المناسب في المكان المهم والقيادي والإداري في الحياة، وإليه يشير القرآن في أماكن كثيرة من قبيل قوله تعالى: (فَتَذَلَّكَ بُيُوتُهُمْ خَامِيَةً بِمَا طَلَمُوا) (النمل/ 52)، (فَتَذَلَّكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَاتِلًا) (القصص/ 58)، (وَمَا طَلَمَنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (النحل/ 118).

والإشارة الأخرى التي ذكرها القرآن من خلال الآية الكريمة هي تضييع الصلاة وفيها دلالة على أنّهم إذا ضيعوا أهم فرض - وهو الصلاة - فهم لتضييع غيره من الفروض والطاعات أجدر، وهذا من الأُمور المهمّة والفاعلة للصلة في الحياة، وترتبط عليها اتباع الشهوات، فوقعوا في غي الدنيا، وهي الآخرة.

تضييع الصلاة:

لأهميّة الصلاة في الحياة والدين، جاء التأكيد عليها والمحثّ على إقامتها في القرآن، والسنة ومنهاج أهل البيت (ع) وتتجلى هذه الأهميّة من خلال متابعة فقه الصلاة من حيث إقامتها، وعدم إقامتها، فهي شرعاً لا تسقط عن المكلف بحال مرضه حتى لو كان مسحى على فراش المرض، وبهوعي، وقد حلّ وقت الصلاة فإذا نّه لابدّ من الصلاة، وهو على الفراش يومئ إلى الركوع بعينيه يغمضها نصف إغماضة، وللسجود بإغماضة كاملة، مع قراءة ذكر كلّ ركن من أركانها، في وقت لا تجد مثل هذا الحكم في باقي الفرائض، فالصوم يسقط عن المريض ويكون (فَعَدَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)، والحجّ (مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) والزكاة والجهاد.. كلّها إنما واجبة في حال القدرة على إتيانها بشكل لا يكون فيه حرج على المكلف.

وحين نحاول معرفة السر في ذلك، فإذا نقف على ذلك من خلال ما ذكره القرآن الكريم للصلة، فقد ذُكرت الصلاة وأشار إلى الإقامة في أكثر من (50) مرّة، مما يشير إلى أهميّة الإقامة للصلة في حياة المجتمع وهي تؤدي غرضها العبادي إلى جانب أغراضها الاجتماعية والخلقية المختلفة.

أهمية الصلاة:

لم يحظ فرض من الفروض كما حظي فرض الصلاة، وهذا واضح من الأحاديث النبوية الشريفة عند النبي ﷺ وأهل البيت (ع) جعلت من الصلاة عموداً تبني عليه كلّ الفرائض من واجب ومستحب، قال (ص): "مثلُ الصلاة مثلُ عمود الفُسطاط إذا ثبت العمود نفع الأطناب والأوتاد والغشاء، وإذا انكسر العمود لم ينفع طنب ولا وتد ولا غشاء"، ومنه قول عليّ (ع): "إِنَّمَا في الصلاة، إِنَّمَا عِنْدَهَا عمود دينكم".

علّة الصلاة:

أشارت بعض أحاديث أهل البيت (ع) إلى ما يُعرف بـ(علّة الفرض) أو النافلة، وهي في الحقيقة ليست علّة حقيقة، إنما هي علل اصطلاحية كما يراها بعض العلماء، أو ما يعرف بـ(مقاصد الشريعة) وقد تضمّنت خطبة الزهراء (ع) جملة من ذلك، وفيها إشارات إلى الصلاة، فقالت: "فرض إِيمان تطهيراً من الشرك، والصلاحة تنزيهاً عن الكبيرة، وهذه إشارة مهمة لما للصلاة من أثر تخلص الإنسان وهام النفس التي تصوّر للكثير من الناس كبر حجمها، وإنّها أعظم مما يراه الآخرون، وهذه نزعة الكبر التي لا بدّ للإنسان أن يتبعونّذ بما منها كلّ حين كما جاء في دعاء النبي ﷺ (ص): "واعلنني في عيني صغيراً، وفي أعين الناس كبيراً"، والستة الزهراء (ع) ترى أنّ حالة الكبر التي تطفى على الإنسان في أحياناً كثيرة من ساعات يومه، يمكن للصلاة أن تلغيها من حياته، إذا أتى الصلاة بقلب خاشع ونية صادقة، فهي تحمله على أن يقول ويفعل ما ينفي الكبر عنه أمام الله، ويخرج بكلّ ذلك إلى مجتمع قد تضامن على ذلك في عبودية حقّه يكون المؤمن فيها عزيزاً بعزّة الله لا متكبراً ولا ذليلاً.

وثمة أحاديث أخرى تشير إلى علّة الصلاة، فقد ورد عن هشام بن الحكم وقد سأله أبو عبد الله الصادق (ع) عن علّة الصلاة فإن فيها مشغلة للناس عن حوايجهم، ومتعبه في أبدانهم؟ قال (ع): "فيها علل، وذلك أنّ الناس لو تركوا بغير تنبئه ولا تذكره للنبي ﷺ (ص) بأكثر من الخبر الأول وبقاء الكتاب في أيديهم فقط لكانوا على ما كان عليه الأوّلون، فإنّهم قد كانوا ارتكبوا علينا ووضعوا كُنْدُباً ودعوا أُناساً إلى ما هم عليه وقتلوهم على ذلك، فدرس أمرهم وذهب حين ذهبوا، وأراد الله تبارك وتعالى أن لا يُنسفهم أمر محمد ﷺ (ص) ففرض عليهم الصلاة يذكرونها في كلّ يوم خمس مرات ينادون باسمه، وتعبّدوا بالصلاحة وذكر الله لكي لا يغفلوا عنه وينسوه فيندرس ذكره"، هذا الحديث يضع أيدينا على أهمية الصلاة حيث إنّها ذكر الله ولرسوله، مما يثير في الأذهان سؤال: ما أهمية ذكر النبي ﷺ (ص) الذي جعل الله وجوب النداء باسمه في الأذان، وذكره في الصلاة والصلاحة عليه وبخلافه لا تقبل الصلاة؟

إنّه في الحقيقة ترابط وتواءل مع إشراقة النبوة الأولى التي غمرت الكون، فأراد الله أن تبقى هذه الأمة مرتبطة بكلّ معاني الربط مع النبي (ص) وأهل بيته (ع)، ترابطاً روحياً وأخلاقياً يتبيّن منه خلال سلوكنا لا أنّه مجرد لقلقة لسان، وليس ذكر النبي فحسب، فإنّه كثيراً ما كان يشير إلى أنّه وأهل بيته (ع) كيان واحد لا يتجزأ، فعليّ (ع) نفسه وفاطمة (ع) روحه التي بين جنبيه، والحسن والحسين ولداه، وأخيراً قال (ص): "حسين مذري وأنا من حسين".

أمّا الإمام الرضا (ع)، فإنّه يضع بين أيدينا علة أخرى، قال (ع): "إنّ علة الصلاة أنّها إقرار بالربوبية عزّوجلّ وخلع الأنداد، وقيام بين يدي الجبار جلّ جلاله بالذلّ والمسكنة، والخصوص والاعتراف والطلب للإقالة من سالف الذنوب، ووضع الوجه على الأرض كلّ يوم خمس مراتٍ إعطاءً عزّوجلّ وأن يكون ذاكراً غير ناسٍ ولا بطرٍ ويكون خاشعاً متذللاً راغباً طالباً للزيادة في الدين والدنيا ... ويكون في ذكره لربّه وفيما بين يديه زاجراً له عن المعاصي وما نعاً من أنواع الفساد".

ومع كلّ ما ورد، فإنّه يمكن أن نتبين علة أخرى للصلوة، فهذا النداء الموحد في كلّ صبح إسلامي منتشر في الأرض يدور عليها كلّ حين، فيرتفع أذان أمّا للفجر أو للظهر أو للمغرب، حتى لا تكاد تجد بقعة إلا وفيها ذكره.

آثار الصلاة:

لاريب أنّ لكل فرضٍ أثره في الإنسان والحياة، وما لم يتحقق واحد من هذين الأثرين فاعلم أنّه لا جدوى من كلّ ما يعلمه الفرد مما يُسمّيه طقساً دينياً أو شعائر يحتفي بها ويُقدّسها، وهذا ملاحظ من خلال ما نشاهده من مظاهر التديّن عند غير المسلمين، بل وحتى بعض ذلك بين المسلمين، مما لم ينزله الله ولم يأمر به النبي (ص) وأهل بيته (ع)، فينبغي للإنسان أن يضمر في داخله هدف ذلك الغرض العبادي الذي يؤديه كلّ يوم، فكيف يمكن أن نؤمن بتأدية الفرض ما لم نتلمس أثره في الحياة، وهذا ما تضج به الحياة على طول مدارها (كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه، وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ولا تقل ما أكثر الحجيج ولكن ما أكثر الضجيج)، مما يؤكد أنّ هناك الكثير من يفعل الفعل من دون أن يراعي الممارسة الروية أوّلاً، وجنى ثمرة ذلك العمل ثانياً.

ثمرة الصلاة:

قال تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) (العنكبوت/ 45)، وقال (ص): "مَنْ لَمْ تَنْهِ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزُدْ مِنْ أَنْ إِلَّا بُعْدًا".

وعن الإمام الصادق (ع)، قال: "اعلم أنَّ الصلاة حجزة إِنْ في الأرض، فمن أحبَّ أن يعلم ما يدرك من نفع صلاته فلينظر، فإنَّ كانت صلاته قد حجزته عن الفواحش والمنكر، فإنما أدرك من نفعها بقدر ما احتجز"، وقول النبي (ص): "لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر".

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) لا يعني بالضرورة أنَّ الإنسان إذا صلَّى انقطع عن الفحشاء والمنكر، مما أكثر مَنْ رأيناً في حالة يُرثى لها من مداومة على صلاة وإقامه على سيدنَّيات، فماذا يعني ذلك؟

إنَّ القرآن ومن خلال الآية آنفة الذكر يريد أن يوقظ المسؤولية في نفس المصلي من خلال تلاوة قرارات وقوانين الصلاة، فكأنَّها تخاطب الإنسان المسلم أنذِك أيها المصلي إنَّ ما قدمت عليه من فعل تقصد به القرابة ونيل الحظوة عند الله، إنما تصل إلى ذلك بعد تأدبة صلاتك التي لا يقبلها الله من مقيم على الفحشاء وفاعل للمنكر، فكن على حذر، أن تصنع شيئاً ينافي شروط القبول، وأظهر شروط قبول الصلاة هو أنذِها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهذا معنيان جامعان لك ما ينافي الخلق والكرامة للفرد والمجتمع المسلم.

فوائد الصلاة:

للصلاة فوائد كثيرة يمكن إيجازها بما يأتى:

1- كفارة لما قبلها، فقد جاء في الحديث عن النبي (ص): "إذا قام العبد إلى الصلاة فكأنَّ هواه وقلبه إلى الله تعالى انصرف كيوم ولدته أمُّه". وعن الصادق (ع): "لو كان على باب أحدكم نهر فاغتسل منه كلَّ يوم خمس مرات هل كان يبقى على جسده من الدرن شيء؟ إنما مثل الصلاة مثل النهر الذي ينقى كلما صلَّى صلاة كان كفارة لذنبه إِلَّا ذنب أخرجه من الإيمان مقيم عليه".

2- منهل من مناهل البر، وما يؤيد ذلك قول أبي عبد الله الصادق (ع): "للمصلني ثلاث خصال: يتناهى عليه البر" من أعنان السماء إلى مفرق رأسه، وتحف به الملائكة من قدميه إلى أعنان السماء، وملك بناديه: أيها المصلني، لو تعلم مَن تناجي وَمَن ينظر إليك، وما التفت ولازلت عن موضعك أبداً".

3- إنّها تنهى عن الفحشاء والمنكر، بدليل قوله تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَدْهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)، فقد قيل لرسول الله (ص): إنّ فلاناً يُصلني بالنهار ويسرق بالليل، فقال: "إنّ صلاته لتردعه".

قبول الصلاة:

في كلّ عمل يعمله الإنسان في الحياة جنباً قبول تبني على أساس وشروط، إذا أتي بها الإنسان كان عمله في محل القبول والرضا، وإن تخلف واحد من تلك الشروط كان هناك الخلل الشائن الذي يعيّب ذلك العمل، وبما أنّ الصلاة خير موضوع كما نصّ النبي (ص) على ذلك وأنّها إن قبلت قبل ما سواها، وإن ردّت ردّ ما سواها، وإنّها أول ما يسأل عنه العبد يوم القيمة، كان لزاماً على المصلني أن يعرف كلّ ما يتصل بها، مجاهداً نفسه للأذى بذلك، والعناية به، والصبر عليه، قربة إلى الله تعالى، طلباً لنيل الأجر والزلفى، وقد نصّت الروايات على بعض تلك الشروط، ومنها:

الورع:

وهو أساس كلّ عمل لأنّه لا تؤتي الأعمال مؤداها في حياة الإنسان ما لم يكن عنده ورع حاجز، فقد جاء عن النبي (ص) أنّه قال: "لو صلّيت حتى تكونوا كالأوتار، وصمتم حتى تكونوا كالحناء لم يقبل منكم إلا بورع".

ردّ المطالع:

ولذلك تبعات كثيرة منها عدم قبول العمل، وكون الإنسان الطالم في لعنة الله حتى يخرج من تلك المطالِم (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) (هود/ 18)، فقد ذكر النبي ﷺ هذا الأمر بقوله: "أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ أَنْ يَا أَخَا الْمُرْسَلِينَ، يَا أَخَا الْمُنْذَرِينَ، أَنذِرْ قَوْمَكَ لَا يَدْخُلُوا بَيْتَكَ مِنْ بَيْوْتِي وَلَا حَدَّ مِنْ عَبَادِي عِنْهُمْ مُظْلَمَةً، فَإِنَّمَا أَلْعَنَهُمْ مَادَامْ قَائِمًا" يصلٍ بين يدي حتى يرد المظلومة".

الكس الحلال:

قال أمير المؤمنين عليؑ بن أبي طالب (ع): "انظر فيما تصلي وعلى ما تصلي، إن لم تكن من وجهه وحله فلا قبول"، وهذا ما يتطرق إليه الفقهاء في باب (لباس المصلي)، وأنه الذي يصلٍ بثوب مغصوب، أو على أرض مغصوبة فإن ذلك غير مقبول إذا علم المصلي ذلك.

خيانة الأمانة:

أوحى الله إلى داود: "كم من ركعة طويلة فيها بكاء بخشية قد صلاتها صاحبها، لا تساوي عندي فتيلًا، حين نظرت في قلبه فوجده إن سلام من الصلاة، وبرزت امرأة وعرضت عليه نفسها أجابها، وإن عامله مؤمن خانه"، وهذا يفيدنا علماً بأن المصلي حقًا هو من استوفى أمانة الصلاة، فطبع بها كل عمله في حياته.

الاستخفاف بالصلوة:

قال صادق آل محمد (ص): "واه إنكم ليأتي على الرجل خمسون سنة وما قبله منه صلاة واحدة فأي شيء أشد من هذا واه إنكم لتعرفون من جيرانكم وأصحابكم مَنْ لو كان يصلٍ في لبعضكم ما قبلها منه لاستخفافه بها إن عز وجل لا يقبل إلا الحسن فكيف يقبل ما يستخف به".

عقوق الوالدين:

وهو من الكبار المنصوص عليها، وأوْعد إِنَّمَا على ذلك عقاباً دنيوياً وأُخْرِيَّاً، وحال العاق مع الصلاة حال المستخف أو أكثر، فقد ورد عن الصادق (ع) أَنَّه قال: "مَنْ نظر إِلَى أَبُويه نظر ماقت وهم طالمان له لم يقبل إِنَّمَا له صلاة"، هذا حال مَنْ نظر وهم طالمان!! فكيف حال مَنْ تجاوز بشتم وضرب ونحو ذلك؟!

مسك الختام:

كان يوم الطف مدرسة للعقيدة والأخلاق، وفيها تجلت معاني الصلاة، قال الشاعر:

من بعد أن قصوا الصلاة قصوا فداءً للصلة

فلمّا اشتدّ القتال وبدا النقص واضحًا في أصحاب الحسين (ع)، جاء أبو ثمامه الصيداوي مخاطبًا الحسين (ع) : يا أبا عبد الله، نفسي لنفسك الفداء، هؤلاء اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك، وأحبّ أن ألقى الله ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة، فرفع الحسين (ع) رأسه إلى السماء، وقال: "ذكرت الصلاة جعلك الله من المصليين، نعم هذا أول وقتها"، ثم قال: "سلوهم أن يكفوا عنّا حتى نصلّي"، فصلّى (ع) بأصحابه صلاة الخوف. ▶

حتى إذا أسفت علوج أميّة ألا ترى قلب النبي^ﷺ مما با

صلّت على جسد الحسين سيفهم فغدا لساجدة الظُّبَا محرابا

